"The Biological Social Revolution of Contemporary Human"

Dr. Iman Al-Saleh*

(Received 25 / 7 / 2019. Accepted 8 / 8 / 2019)

□ ABSTRACT □

This research is considered as a theoretical attempt, to know the aspects of biological evolution & it's reflect on the humanitarian philosophical side, specially which related to ethical & educational values

In this research we refer to the productive dialectical relation between human & nature, which is considered as an ethical process, based on active & effective participation with nature, to achieve the human being goals.

The man in general is considered as a main part of universal nature activity, which we try to show this process in being

Finally we try to know the effective position of human & his rule in cosmic that he belong to it, as an important goal of other humanity goals

KeyWords: Biological Revolution, Biological evolution, Improvement, Education, Cosmic Changes, The Philosophical of Cultural Varieties.

*Associate Professor- Department of philosophy -Faculty of Art's & Humanities- Aleppo University- Syria

الثورة البايو – اجتماعية للإنسان المعاصر

د. إيمان الصالح*

(تاريخ الإيداع 25 / 7 / 2019. قبل للنشر في 8 / 8 / 2019)

□ ملخّص □

يتمحور البحث حول فلسفة العلاقة البايو– نفسية اجتماعية للإنسان المعاصر، وهو محاولة نظرية لمعرفة جوانب الاهتمام بالتطور البايولوجي، وانعكاساته على الجانب الفلسفي الحضاري الإنساني، لاسيما ما يرتبط به من قيم تربوية وأخلاقية، تعكس اهتمام الإنسان بالجانب التطوري، الناجم عن "الثورة البايو– اجتماعية في حياة إنساننا المعاصر"، كما أنه يشير إلى حالة التفاعل الخلاقة بين الإنسان والطبيعة، وهو في جوهره تفاعل أخلاقي، قائم على المشاركة الفاعلة والنشطة مع الطبيعة لتحقيق الغايات الإنسانية المنشودة .

فالإنسان في نهاية المطاف جزء لا يتجزأ من نشاط الطبيعة العام، كونه يرتبط بباقي أجزاء هذا النشاط، وهو ما يضطلع بحثنا بالكشف عن كيفية حدوثه، الأمر الذي يجعلنا مطالبين بأن نتعامل مع الطبيعة على وجه حسن ولائق، وإلا فإنا مدعوون أن نتوقع من الطبيعة أن تعاملنا بشكل رديء، فتغدو بذلك ضحلة في إنتاجيتها .

من جهة أخرى يحاول هذا البحث التوصل إلى قياسات تربوية معمقة، في الدور والإطار الذي يمكن للتربية القيام به في مواجهة التحديات التي يتعرض المجتمع إليها، وذلك عبر البرامج التربوية، التي يعول عليها إلى حد بعيد في تقليص الفجوة الحضارية، بين ما يسمى بالمجتمعات المتقدمة والمجتمعات النامية.

كوفا تتولى الجانب التعليمي (تعليم الحقائق والمهارات والأفكار) اهتماماً كبيراً وضرورياً. أخيراً يصل البحث بنا إلى معرفة مكانة الإنسان ومركزه ودوره في الكون الذي ينتمي إليه، وهو هدف متقدم على غيره من الأهداف الإنسانية الأخرى.

الكلمات المفتاحيَّة: الثورة البايولوجية، التطور البايولوجي، التغيرات الكونية، الانتخاب النفسي الاجتماعي ، فلسفة التنوع البيولوجي، فلسفة التنوع الثقافي.

* **أستاذ مساعد – قسم الفلسفة–كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة حلب– سورية**

مقدمة:

كنتيجة للمعرفة التي حصلت في السنوات الأخيرة، أخذت الثورة الإنسانية تنصب على معرفة صورة الحاضر والماضي، وتأثيرها في المستقبل، في كل المناشط الإنسانية المرتبطة بالجوانب الطبيعية والفلسفية والسلوكية الإنسانية. فقبل هذا الوقت لم يكن يتوفر ذات الاهتمام بهذه الجوانب، بخاصة ما يتعلق بهذا الإرث الحضاري الإنساني.

من ناحية أخرى نقدم هذا البحث بوصفه محاولة نظرية لمعرفة جوانب الاهتمام بالتطور البايولوجي وانعكاساته على الجانب الفلسفي الحضاري الإنساني، لاسيما ما يرتبط به من قيم أخلاقية، تعكس اهتمام الإنسان بهذا الجانب، كما أنه يشير إلى حالة التفاعل الخلاقة بين الإنسان والطبيعة، وهو في جوهره تفاعل أخلاقي، قائم على المشاركة الفاعلة والنشطة مع الطبيعة لتحقيق الغايات المنشودة.

فالإنسان في نهاية المطاف جزء لا يتجزأ من نشاط الطبيعة العام، كونه يرتبط بباقي أجزاء هذا النشاط، وهو ما يضطلع بحثنا بالإشارة إلى كيفية حدوثه.

أهمية البحث وأهدافه:

من ناحية أخرى تتحدد أهمية البحث وأهدافه عبر صياغة العديد من الأفكار التي ينطوي عليها وأبرزها: مطالبة الجنس البشري بأن يتعامل مع الطبيعة على وجه حسن ولائق، وإلا فإننا مدعوون أن نتوقع من الطبيعة أن تعاملنا بشكل رديء، فتغدو ضحلة في إنتاجيتها، ناهيك عن الكوارث محتملة الحدوث جراء عبث الإنسان بنظام الطبيعة العام.

كذلك إبراز أهمية التوصل إلى قياسات تربوية معمقة، في الدور والإطار الذي يمكن للتربية القيام به، في مواجهة التحديات التي يتعرض المجتمع إليها، عبر البرامج التربوية، التي يعول عليها بشكل كبير في تقليص الفجوة الحضارية، بين ما يسمى بالمجتمعات المتقدمة والمجتمعات النامية.

منهجية البحث:

أيضا لا يفوتنا الإشارة إلى اعتمادنا على المناهج العلمية في هذه الدراسة، والتوصل إلى الاستخلاصات والنتائج المرجوة منها، لاسيما منهجي: البحث التاريخي، والمادي الجدل على وجه الخصوص. وفي هذا السياق فقد اشتمل البحث على عناوين عدة هي: 1– **الإنسان والتطور**. **2– فلسفة التنوع البايولوجي**. **3– فلسفة التنوع الثقافي**. **4– التعامل الأخلاقي المسؤول مع الطبيعة**.

النتائج والمناقشة:

ثمة نتائج بحثية تم التوصل إليها ومناقشتها، مع بعض الزملاء المتخصصين والمهتمين في الهيئة التدريسية، وأهمها إبراز: أولاً: أهمية الأثر التطوري الناجم عن الثورة البايولوجية في حياة الإنسان المعاصر، وانعكاس ذلك على الجوانب الاجتماعية والنفسية والفلسفية والحضارية والإنسانية. ثانياً: أهمية علاقة الإنسان بالطبيعة لاسيما عملية التفاعل الحلاق بينهما. ثالثاً: ضرورة تعامل الإنسان مع الطبيعة تعاملا حسناً، تفادياً لرد فعلها الغاضب حياله في حال سوء معاملته لها، والتي من أبسط أشكالها، خفض مردود إنتاجيتها له.

1- الإنسان والتطور:

شهدت الحياة الإنسانية تحولات نوعية في السنوات المئة الأخيرة، كنتيجة موضوعية للثورة المعرفية بفعل التطور الهائل والمتسارع في ميادين العلوم كافة. فمنذ أن كتب (دارون) مؤلفه (أصل الأنواع) مرورا بمنتصف القرن التاسع عشر، أصبح ممكنا ولأول مرة في تاريخ العالم، تنامي المعرفة الشاملة، مؤكدة صورة الحاضر والماضي، ومستشرفة المستقبل الإنساني حيال تلك الأعمال المتعلقة بالجانب الطبيعي والبايولوجي، وكذا الأمر بالنسبة للطبيعة الإنسانية، والتاريخ الإنساني[1] [1].

وربما لم يكن هناك أي بداية لمعرفة التطور، أو أي تفصيلات عن التحديث الإنساني، أو عن أمور الموروثات الجنسية قبل مجيء دارون إلا ما ندر، وبعد نصف قرن من هذا التاريخ تمكن (رذ فورد) من اكتشاف أن الذرة قابلة للانقسام، كما قدم كل من (فرويد) و(يونك) في كشوفهما عن الأسس النفسية للطبيعة الإنسانية، والتطور والاضطراب العقليين[2] [1].

ولم يكن هذا الثراء العلمي مقتصرة على هذه الجوانب في المعرفة فحسب، وإنما امتد ليشمل الإنسانيات، فخلال فترة نصف القرن الماضية، تمكن (آرثر اشتر) من اكتشاف ماضي (كريت)، وقبل هذا التاريخ لم يكن هناك حق المعرفة ما قبل التاريخ، عدا تلك الخاصة عن مصر وبعض الأقطار المجاورة، أما في الأيام الحاضرة، فهناك الكثير من المعرفة عن فترة ما قبل التاريخ، التي تشمل ذلك العالم القديم بأكمله، والتي تصل حتى العصر الحجري المتأخر، وبالإضافة إلى ذلك فهناك معرفة شاملة تمثل : دراسات فلسفية عن الديانات المقارنة، والفن المقارن وتاريخ الأفكار، والعالم، والنظم القانونية والأخلاقية، وكنتيجة لهذا كله فقد أصبح من الصعب على الإنسان اكتشاف القوانين العلمية، والأفكار الفلسفية، أو معرفة ديانات التي كانت قد وصلته عن طريق بعض القوى ما فوق الطبيعية، والتي تملك طبيعة خارقة، أو تلك التي تأت من الآلهة والأخلاق، التي فرضت عليه من الخارج، خاصة إذا هو لم يحاول أن يضع لنفسه قوانين علمية وأفكار فلسفية، تقوم على منهج تحليلي لمعرفة تلك الأشياء . أما الذي تكشف عن النظرة الجديدة للإنسان؟ في المقام الأول تكشف عن أن الحقيقة بأكملها – على نحو شامل – هي (التطور، ونعني بالتطور : تلك العملية المتحركة خلال الزمن، والتي تتصف بإعادة تشكيل الذات دون تراجع، وبديمومة ينبع فيها التجديد، حيث يعمل على التنوع وعلى التزام درجات عالية من التنظيم[3] [2] .

الكون بمجمله يعكس تجربة تطورية موحدة، هذا الكل التطوري الموحد، يتضمن أقسام رئيسة، أو أوجه ثلاثة لكل منها: وظيفة معينة، ومعدل معين، ومقياس معين، ونماذج لنتائج معينة. هذه الأوجه يتبع بعضها البعض الآخر، يسمى الأول الكون، أو الوجه غير الجسمي، ويضم هذا القسم: المجرات والنجوم والفضاء، وهو في حد ذاته عظيم لا يمكن أن يحد بالخيال في حجمه، يقاس بملايين السنين الضوئية، كما أنه يضم الملايين من الدم والبلايين من النجوم[4] [2].

من ناحية أخرى يتميز هذا الوجه ببطء تغيره بشكل عام، مع تغير رئيسي مقاس في كل بليون سنة في وحداته. وعمليته التغيرية تبدو بسيطة لأنها مجرد تفاعل طبيعي، وفي بعض الأحيان تفاعل كيماوي بسيط ذي طبيعة تحكمية عالية،

[1] - Van Loon, Hen Drik, 1960, The Story of Mankind, Washington Squre Press Book , n.y.pp3-9
[2]- Ibid .pp .9-12
[3] - Lenski, G. and Lenski , J , . 1978 ,Human Sociology , Megren - Hicc Book Co., N. pp3-5
[4] - Ibid. pp .5-10

ونتائج كل هذا لا يمكن أن تصل إلى مستويات دنيا من التنظيم، ففي إحدى هايتي طرف هذا المقياس هناك الذرات، وما قبل جزيئات هذه الذرات، والمكونات الضوئية، مع عدد قليل من الجسيمات البسيطة[5] [2].

وفي النهاية الأخرى لهذا المقياس نماذج التنظيم المتمثلة بالدم مع ما تتضمنه من أشكال حلزونية، ونجوم لا تعكس بعد تعقيدا في التنظيم، فهي تركزات سطحية، لا تعدو كونها منطقة قشرية، أو صدفية للمادة، في أشكال مختلفة، وفي طبيعة تكوينية قليلة الاختلاف، تنتشر هنا وهناك، مؤلفة أكثر ما يكون تعقيد ذلك التنظيم الذي نسميه بالمجرات.

وبالنسبة للجغرافيين الطبيعيين، ففي فترة ليست بأقل من ثلاثة ملايين سنة مضت، أصبحت للمادة القابلية على إعادة إنتاج ذاتها، في مجراتنا الشمسية هذه، وكان هذا الحدث هو الذي دشن بداية القطاع الحياتي، أو الجانب التطوري، ولكن هذا بالطبع يختصر بالتمدد خلال الزمن، وفي عالمنا فقد تعلق ذلك بالسطح فقط إذ قد تكون هناك حياة في المريخ، وقياسا على نظرية الاحتمال، فقد توجد هناك حيوات تنتشر في كواكب أخرى من هذا الكون قد استطاعت أن تعتمد على تطور نفسها بنفسها، ولكن مجموع المنطقة بكاملها التي استغلت حياتنا، لا تمثل إلا جانبا ضئيلا قياسا بمساحة القطاع الكوبي الواسع، وبالنسبة للوجه الحياتي كما غرض من فوق بسيطتنا ولو أن معدل التغير كان بطيء، قياسا بمستوياتنا الحضارية إلا أنه أسرع من ذلك الخاص بالوجه الكون، فالتغيرات الرئيسة يمكن أن تقاس بمئات الملايين من السنين في وحداتها .

إن ميكانيكية العملية الخاصة (هذا الوجه الحياتي، هي أكثر نشاطا لأنها تعني بالتشكل البايولوجي، الذي اكتشفت أداءاته بواسطة دارون، فالانتخاب الطبيعي إنما يمثل في حقيقته طريقة مختصرة، وتعبير مجازي للمؤثرات الخاصة بتنوع الأحياء، وإعادة إنتاج الصفات الوراثية بشكلها المتنوع.

أما النتائج التي اعتمدت على التطور البايولوجي، فقد كانت أعظم تنوع، إذ يوجد في الوقت الحاضر أكثر من مليون نوع منفصل من الحيوانات تعيش في الطبيعة، ومن الممكن تجميعها في حوالي عشرين نموذج رئيسي تنظيمي، وأخيرا فإن هناك زيادة ثابتة في التنظيمات التي وصلت إلى أقصى حدودها.

وبالأصل فالحياة كلها إنما بعث في وحدات صغيرة وجدت على مستوى ما قبل المجهر. أما تنظيم الثدييات الحديثة كالكلب أو الأسد، فإنه يعتبر على العموم من التعقيدات العالية للتطور، وأكثر ما يوجد في التعقيد في هذا الكون يتمثل في المخ الإنساني، الذي يؤثر التكوين العصبي في أداء وظيفته.

وأما الجانب الثالث لعملية التطور فينعكس في الفلسفة القائمة على فهم الوجه النفسي الاجتماعي، الذي تكون نتائجه القطاع الإنساني، وهذا القطاع لا يزال محدودة في مداه، على حد علمنا، فهو ينحصر في الإنسان وأعماله، وبالتأكيد فإن هناك القلة من العوالم، التي اعتادت على الحياة في الأكوان المختلفة، والتي استطاعت أن تنتج تراكيب عضوية، تمتلك نفس الخصائص.

وبالنسبة لهذا الوجه فإن هناك وظيفة خاصة به، تجمع بين الاستمرارية والتغير في سلوكها، كما تعتمد على تجديد الذات وتنوع المادة، ولكن هذا التجديد والتنوع يكون عقليا، أو يعتمد على ما هو عقلي، أي أنه يعمل، وهذا ما يسميه (الأنثروبولوجيون) بالذات. تلك الحصيلة من الخبرة الموروثة انتظمت عن طريق التربية والمحاكاة والتعليم، واعتمدت على أهداف ثقافية، وكنتيجة لهذا فإن الانتخاب الطبيعي قد تراجع لمصلحة ما يمكن أن يسمى بر الانتخاب النفسي الاجتماعي).

[5] - Ibid. pp .9-10

فالإنسان يرغب في أشياء معينة، أو يهدف إلى أشياء معينة، وهو يحاول جاهدا الوصول إلى رغباته وأهدافه، وفي الوقت الذي يكون فيه الانتخاب الطبيعي دون غاية، فليس هناك من شعور بالغرض مبني عليه أو مؤثر فيه أصلا[6] [3].

2- فلسفة التنوع البايولوجي:

إن نتائج هذه العملية تنطوي على عديد من التنوعات في العدد والآلات والأدوات، والحلي والأفكار وقواعد الأخلاق، والأعمال الفنية والنظريات العلمية، والنظم الاجتماعية واللغات، كما يمكن أن يؤدي هذا الخط المتحرك من العمل، إلى ارتفاع في المستوى التنظيمي في درجاته العالية التي تم التوصل إليها، من خلال الأفكار الاقتصادية، والنظم الاجتماعية المعاصرة.

أخيرا فإن معدل هذه الحركة هو أكثر سرعة، وأسرع منه مقياس التغير الذي يبدو أنه تسريع ثابت، أكثر من ميله نحو الركود، أو التبدل النسبي، الذي تم بمعدل مرة واحدة في كل مائة ألف سنة، ثم أكثر في الحدوث مرة كل عشرة آلاف سنة، وبعدها كل ألف سنة، وأخيرة مرة في كل قرن.

أما في الوقت الحاضر فإن التغيرات الرئيسة تتم مرة واحدة كل عشر سنوات وحتى أقل من ذلك، بفعل التطور والتغير الهائل والمتسارع، في كافة الميادين والحقول المعرفية والتقنية والثقافية والحياتية.

وبالعودة إلى الجانب البايولوجي نتتبع بتفصيل أوسع " أن هناك ثلاث عمليات صغرى تداخلت في العملية الكبرى للتطور البايولوجي: الأولى.. انعكست فيما يسمى بالتطور المتفرع، وهي تؤدي إلى التعدد والتنوع، حيثما يظهر نوع لبناء جسمي ناجح تحاول بثه في جميع الاتجاهات ضمن خطوط متعددة الاختصاصات، فعلى سبيل المثال، لتأخذ الثديات التي تمثل أعلى مراحل الحيوانات اللبونة، فإنها تتشعب في عدد من الأصناف منها: صدف أكلة اللحوم، مقارنة بأكلة الحشرات أو الطفيليات، وأكلة اللحوم تتشعب إلى مجاميع عائلية عدة منها: عائلة القطط، التي تتشعب بدورها إلى مجموعات أو أنواع منها الأسود، والتمور، والفهود، وما شابه ذلك[7] [4].

أما الثانية فقد أطلق (دارون) عليها اسم (التحسن)، أو ما يسمى بالتطور الصاعد، إلا أن التحسن) ربما كان التعبير الأكثر قبولا، أو الأكثر عمومية وشمولا. وربما فضلت كلمة (التحسن) لذلك التبدل الذي قد يسمى (بالتايلون الوقائي) للحيوان.

وقد يكون التحن متصلا بناحية خاصة، تتعلق بجانب معين من الحياة، كما في حالة عيش الخيول، التي تبدأ بأقلمة نفسها للبقاء في سهول مكشوفة ترعى فيها حشائش متصلبة، أو قد يكون التحسن عاما أي بزيادة فاعلية جوانب بايولوجية، في وظيفتها، كما في حالة الهضم، وأخيرا قد يعني التحسن بالخطة نفسها أو التنظيم

أما الفرع الثالث لهذه العمليات فإنه يتمثل فيما يسمى بالأشكال الموجهة، أي أن كل نوع ناجح، يتشعب في نواحي مختلفة الاختصاصات، تستطيع أن تملأ تلك الأماكن التي يمكن أن تمثلها، ولكنها لا تلبث أن تمر بفترة استقرار، تكون عند شعبها المتخصصة ثابتة الحركة، لا تستطيع أن تتعدى ما وصلت إليه بأبعاده المتحققة، ولكن إذا استطاع أحد خطوطها التطورية، أن يؤثر عن طريق تحسينات أساسية في التنظيم، فإن هذه المحاولة تنعكس بشكل تطوري ناجح، له القدرة على المضاعفة والتشعب بدورة جديدة في اتجاهات متعددة، ويكون هذا على حساب الشكل السابق، مما

[6]- Swarts, M. and Jordan D. 1976, Anthropology: Perspective on Humanity, John Wille & Sons ,N.y. pp.1-35

[7] - Darwin, Ch. 1960, The Origin of Species, Mentor Book , N.Y. pp.73-58

ينقص عدد أنواعه مع اختفاء العديد في تشعباته الأولية، ومن الأمثلة المعروفة في هذا الصدد: الفقرات الأرضية، فالأشكال الأولى لهذه الفقرات الأرضية، كانت تكوينات ضعيفة ورديئة، وبعد فترة طويلة من سيادة هذه التكوينات البسيطة، استبدلت بتكوينات أخرى، والتكوينات الجديدة إنما اشتقت عن خطين للبرمائيات، حيث طور تنظيم أحسن كان ملائمة لظروف الحياة الجديدة، وقد استطاع الشكل الجديد أن يتشعب عن طريق امتدادات بعيدة نتجت عنها (الديناصورات) والحيوانات الضخمة، فالزواحف الغريبة الشكل.

أخيراً: ربما بعد مئة وخمسين مليون سنة، بدأ أحد هذه الزواحف الضخمة في سياق تطوره البايولوجي، يفسح المجال أمام (محسن) أطلقنا عليه اسم الـ (ثدييات) التي تتميز بانتظام درجة حرارتها، وبتحسن في تكرار نسلها، وبعد حدوث تغيرات مناخية رئيسة، أفلحت الثدييات في أن تصبح مؤثرة، كنوع معين وذلك على حساب الزواحف العظيمة، التي أخذت تشعباها من السلاحف والأفاعي والعضايا التي ظلت محافظة على نوعها.

وهذا يوضح نقطة هي أن نوعا ما إذا استطاع أن يكون متسلط، يمكن أن يظل باقية ولو بشكل أعداد قليلة لمدة غير محدودة[8] [4].. وفي بعض الأحيان هناك أنواع بدائية عاشت بشكل ما يسمى بالمتحجرات مثل: الأسماك الطائرة التي تمثل صنفاً بدائياً للأسماك العظيمة، التي بقيت دون تغيير في بنائها الأساسي، لفترة تقرب من خمسين مليون سنة، وهناك مثل جلي آخر هو الأسماك من ذوات الرئة، التي تقترب أو تعود إلى أسلاف كانت تعيش كلبائن أرضية، كما أنها ظلت محتفظة بتركيبها الأساسي، دون تغير لمدة تقارب (ثلاثمائة مليون سنة) وعندها ندرس تلك السلاسل من الخطوات، التي تمت بتعاقب الأصناف المقيدة، لنقع على بعض الاتجاهات الرئيسة التي تمثلها.

فالاتجاه الأول: تصاعد نحو مستويات عالية من التنظيم، ويمكن إدراك الفكرة بسهولة. فمن الواضح أن الكلب أكثر تنظيما من نجم البحر، وأن نجم البحر بدوره أكثر تنظيما من (الأمبيا). فالتنظيم العالي إنما يضم أجزاء متعددة تحد بفاعلية كبيرة، مكونة نموذجا كلياً شاملاً.

الاتجاه الثاني: اتجاه نحو الاهتمام بالعقل، أي الاتجاه نحو تأكيد أكثر على الذات، وشعور بالفردية يصاحبه سلوك مطاوع، كلما ارتفعنا عاليا في سلم التطور، وهنا نستطيع أن تقارن تكويني كلب البحر ونجم البحر، مع المخلوقات البحرية غير اللبونة، كالأسماك الهلامية التي تكون بلا عيون أو بلا دماغ، الأمر الذي يوضح أهمية هذا الاتجاه التطوري[9] [4].

أخيراً – وهذا شيء اتسع إدراكه – فقد لوحظ عبر الخمس أو العشر ملايين سنة الأخيرة، أن التطور التكويني للمخلوقات قد بلغ ذروته، إذ لم يعد ممكن الحصول على تركيبات أكبر حجما، فليس بالإمكان مشاهدة حيوانات أرضية أضخم من الفيل مثلا، لأن هذا التركيب غير ملائم لطبيعة التطور، كما أنه ليس بالإمكان مشاهدة تكوين له قابلية سرعة، أعظم من تلك التي ينجزها طائر في طيرانه.

واعتماداً على تلك الحجريات الموجهة، التي تحدد مدى البعد، يبدو من غير الممكن الحصول على رؤية أقوى من تلك التي يتمتع الصقر بها. وتشابه مع الثدييات العليا، فنحن نمتلك جهاز؛ مقتدرة لتنظيم الحرارة، ونظريا بوسع هذا الجهاز أن يكون أكثر دقة بقليل، ولكن هذه الزيادة في الدقة، لا تعكس أي فائدة حقيقية، لأن الانتخاب الاعتيادي سوف لا يعي مثل هذا التحرير، فقد تنظم درجة حرارتنا بزيادة نصف درجة حرارية، أو بلا أدنى شك وفق ميكانيكية خاصة،

[8] - Ibid. pp .58-73.
[9] - Ibid. pp .73-85.

تستطيع أن تنظم هذه الدرجة لتصل إلى حد واحد بالعشرة من الدرجة، ولكن هذا سوف لا يكون من الوجهة الوظيفية مفيدة، فالتطور الحيواني وصل إلى أقصى درجاته، عن طريق الانتخاب الطبيعي.

ومرة أخرى كان هناك فجر لنوع متسلط جديد ولكن في هذه الحال أصبح التنوع الجديد متسلط، عبر امتلاكه الميكانيكية التطور، التي تم شرحها مقدمة، أي طريقة الإيصال والتشكيل بواسطة التراكم التراثي.

3- فلسفة التنوع الثقافي:

اعتمدت الآلية الجديدة على كلام مؤثر وفكر منطقي، مع رموز شفوية للأشياء والأفكار، وهذا فقد وجد الإنسان ليمثل آخر متسلطات الأنواع التطورية. بالإضافة إلى ذلك فإنه – أي الإنسان – ما زال سريع التطور، إلا أن تطوره الحاضر إنما يختص بالجانب الإنساني، أو النفس اجتماعي، وبشكل أساس الجانب الثقافي، أي غير المعتمد على الموروثات البايولوجية، إذ ينعكس مثل هذا التطور، في حقول الثقافة الإنسانية، وفي تغيير التنظيم الاجتماعي، وفي الأعمال الفنية الجديدة، أو في تبدل النظم الأخلاقية، أي أنه لا يتمثل بتلك التغيرات التي تناول التنظيم الفيزيولوجي، أو أنظمة الموروثات الجنسية.

ونفس التفرعات الثلاثة الثانوية لعملية الأداء التطوري، التي أخذت مكانها في التطور البايولوجي، تعمل وبنفس الأساليب في التطور الثقافي للإنسان، أي التنوع والتحسن والاستقرار والثبات. فالتنافس الثقافي أنتج تنوعات ثقافية في أقسام مختلفة من العالم، والتحسن قاد إلى تغير في التنظيم العالي نجم عنه، أن المجتمعات المتحضرة هي في واقعها أكثر تنظيما من المجتمعات البدائية، أو تلك التي مازالت في طور المجتمعات المتوحشة، وغالباً ما نجد أن المستويات الدنيا من التنظيم، تستمر قائمة لمدة طويلة، بعد أن تكون المجتمعات الأخرى قد وصلت أعلى مستوياتها، ولكن بالإضافة إلى ذلك هناك عامل فعال رابع، يدعوه علماء الأنثروبولوجيا(الانتشار)، وعن طريقه تستطيع الأفكار والأشياء والخطوات الفنية، الانتقال إلى ثقافة أخرى، وتعمل هذه بدورها في تضاد مع التنوع، لأنها تسعى نحو التقارب عوضا عن التباعد، أي أنها تحول دون التجزئة الكلية للتنوع الإنساني، وتحوله إلى عدد من الأنواع المتميزة[10] [3].

ومن وجهة النظر (النفس اجتماعية)، فإن التقدم يمكن أن يتم بوساطة تتابع أنواع تنظيمية، إلا أن التنظيمات الحاضرة، هي تنظيمات للأفكار، وهي متضمنات في نماذج ثقافية، أو نظم اجتماعية، وكما كان بالنسبة للتطور البايولوجي فالأشكال الأولى من التنظيمات، استمرت مع أنها نقصت في شكلها، وفي عددها مع كل فجر ظهر فيه نوع رئيسي من التنظيم، وعلى سبيل المثال : ثقافات العصر الحجري الجديد، وحضارات مجتمعات الصيد، خضعت لمؤثرات سحرية، ولكن مع ذلك فهناك أكثر من التفكير السحري، مازال سائدا في الوقت الحاضر، موازية للتفكير العلمي. فالصحف اليومية ما انفكت تكرس وبشكل منتظم أدواتها لقضايا التنجيم، والخرافات المتشابهة، كما تسعى إلى نشر المقالات حول آخر الكشوف العلمية، وبقرب أشد فإن فكرة القوة السحرية المتقمصة في الأشياء والأحداث أفسحت المجال الفكرة أكثر تسلط، تتمثل في الآلهة الشخصية، التي تقف وراء الأشياء، متحكمة في الأحداث، ثم جاءت فكرة تعدد الآلهة، تتلوها فكرة التوحيد، فالتعدد والتنافس بين المقدسات القديمة، لينتج عن هذا كله محصلة تمثلت في الإله الواحد، كما حل محل الخرافة، العصر التاريخي.

[10]- Swarts, M. and Jordan D. 1976, Anthropology: Perspective on Humanity. pp.37-75.

ففي القرن السابع عشر حدث ما يسمى بالثورة العلمية، وكنتيجة لذلك احتل الفكر العلمي مكانة متميزة منذ نهاية القرن حتى وقتنا الحاضر. واليوم يمكن الجزم بأننا إزاء بداية ثورة جديدة يمكن تسميتها (بالثورة الإنسانية) تمضي نحو تنظيم جديد للفكر ينهض على الأفكار الإنسانية.

وإن كل انتظام جديد في الفكر، يعني وجهة جديدة للإنسان حيال مصيره. فالناس عندما كانوا يعيشون في مستوى بدائي في العقل، كانوا يسبحون في بحر يسيطر السحر عليه، نتيجة إيمانهم بالعرافة والتنبؤ في عالم من الرموز والمخفيات والقدرات السماوية، ويتقدم الإنسان في طريق الاعتقاد ليصبح مصيره رهينة بخضوعه الجدي، بقدرة خارقة مشخصة فوق الطبيعة، يصلي لها، ويطلب غفرانها بالتضحية والعبادة عوضا عن مساومته لها. وفي خطوط أخرى وكنتيجة للثورة العلمية، طورت فكرة الإنسان كمراقب للظواهر التي قادت بدورها، إلى الثورة التكنولوجية، التي حدثت في الماضي القريب.

وفي الوقت الراهن تحاول النظرة الإنسانية الجديدة، تأكيد فكرة أن الإنسان هو العامل المؤثر في مستقبل الكون كله. وبذلك لا يبدو أن أي تكوين سيكون قادرة على أن يحل محل الإنسان كعامل مؤثر، وإذا تمكن الإنسان من أن ينجو من تحطيم نفسه، عن طريق خطأ فوري، فهناك نبوءة يدعمها الجغرافيون الطبيعيون، مفادها أن للإنسان نصيبا من الحياة التي تستعد أمامه، لا يقل عن نصيبه من الحياة التي امتدت وراءه.

من جهة ثانية: لا ننسى أن الإنسان ما زال في بواكير شبابه، فالإنسان ليس شابا بالمعنى التطوري للزمن، ولكن بمعنى أنه لم يصل حتى الوقت الحاضر، إلى المفهوم الكلي للإنسانية. لذا ينبغي أن نخطط للإنسانية الكاملة للإنسان آخذين بعين الاعتبار نوع جديد مستبد لا يزال يبدو شديد النقص وكذلك ثقافته وانجازاته بما في ذلك حضارتنا الصناعية الراهنة[11] [5]

4- التعامل الأخلاقي المسؤول مع الطبيعة:

مما لا ريب فيه أن وجهة نظر الحفاظ على الطبيعة إنما تعكس مفهوم أخلاقية جديدة، ينظم العلاقة بين الإنسان والطبيعة، لا يمكن أن يستمر في اعتبار نفسه متسيداً على عملية الإبداع، أو قاهرة للطبيعة، أي أنه ينبغي أن يكون مشاركاً لهذه الطبيعة، وذا مسؤولية في هذه المشاركة، لأنه هو نفسه نتاج هذا الأداء، كما أنه مكرس للعب دور أساسي، ذلك أن الإنسان جزء من أداء الطبيعة، وعليه أن يربط نفسه باقي أجزاء هذا الأداء بصورة أخلاقية. فالنظام الأمثل الذي يمكن تطبيقه بالنسبة لعلاقة الإنسان بالطبيعة، وعلاقات الناس ببعضهم البعض، يعني على المستوى الدنيوي (منفعة الذات)، وضرورة معاملة الطبيعة بشكل حسن، وإلا فإننا نتوقع من الطبيعة أن تعاملنا بشكل رديء، أي أنها ستكون أدين في إنتاجيتها، على شاكلة الثقب الأمازوني.

فإذا أنكرنا صلتنا الحقيقية مع الطبيعة، فإننا سنجد أنفسنا في صعوبة بالغة التعقيد، فعلى سبيل المثال: تنفي التعاليم الكاثوليكية أن يكون للحيوانات أرواح. بسبب افتراضهم عدم وجود أرواح لها، الأمر الذي حمل الإنسان المؤمن بتلك التعاليم على الاستنتاج بأنه يمكن معاملة الحيوانات كأشياء، باعتبارها تخلو من الروح، وهو استنتاج متقاطع أصلا مع

[11] - Kroeber, A.L. 1952, The Nature of Culture, The University of Chicago Press,. pp.30-23

فكرة الروح لدى الكاثوليكية، لأننا في الواقع لا يمكن أن تعامل الموجودات الطبيعية بوصفها أشياء فحسب، بل ينبغي أن تعامل كجزء لكل حيوي ذاتي التشكل له حرمته الوجودية.

فالأداء الكلي للتطور على هذا الكوكب، يمثل نظاما متكاملا، فالنباتات والحيوانات، والتربة والماء والإنسان، كلها جزء من رداء لا تظهر خيوط تجميعه، ومن الصعب فصل أي جزء منه، دون تعرضه للتمزق الكلي [12][6].

ومن المضامين الهامة للتطور الإنساني، الأخلاقية الجديدة للمساعدات العالمية، أي تلك التي تقدمها البلدان المتقدمة للبلدان السائرة في طريق التقدم، أو من التي تملك إلى التي لا تملك. فالمستوى المتقدم نسبية للأقطار الصناعية في معيشتها، والذي أنجز في الماضي ولا يزال ينجز في الوقت الحاضر، على حساب المستويات المنخفضة للمعيشة، في الأقسام الأخرى من العالم.

فالأقطار الصناعية مثلاً لا تتمكن من شراء الشاي أو القهوة بثمن بخس، دون توفر عمل وافر ورخيص، فالإنتاج الرخيص للناس الفقراء في المناطق الاستوائية أو المتأخرة، هو المصدر الرئيس للمستوى العالي الذي تتمتع به البلدان الصناعية.

وعلى العموم فإن هناك فارقاً كبيراً وفجوة مازالت تتمتع بين مستويات الأقطار التي تمتلك والتي لا تمتلك، وقد قاد هذا إلى ما يسمى ب(ثورة التوقعات)، فالبلدان التي لا تملك شيئا، محقة في توقعها أن العلم والتكنولوجيا، يجب أن يختصر هذه الفجوة، وبنفس الوقت فإن الناس في الأقطار المتقدمة، مع الوفرة في مواردهم، يستطيعون – على أية حال – تدبير نوع من المساعدة للأقطار المختلفة وذلك باجتزاء قسم من التعليم، الذي يتمتعون به، فإذا لم يتم مثل هذا التوقع، فإنه سيقود حتما إلى إرباك عظيم.

وبناء على ذلك، غالباً ما يحدث الدافع الأخلاقي. وانطلاقاً من المصلحة الذاتية فإن البلدان الصناعية تتجه نحو تنظيم مساعدة شاملة تكنولوجية ومادية، وأشكال أخرى من المعونة على نطاق عالمي، في مسعى للتخفيف من حدة التناقض الذي يشكو منه عالم اليوم، القائم على أساس الغلبة للقوي، والاستحواذ، ورفض الحوار، وإلغاء الآخر، والتسلط وهب الثروات، والغزو والاستلاب الحضاري، في إطار العمل على قولبة العالم وعولمته.

هذا النوع الجديد من الأخلاق، ممكن التطبيق في حقول شتى، وعلى الأخص في المجال الاقتصادي، إذا ما توافرت النوايا الحسنة البعيدة عن مفاهيم السيطرة والاستغلال والهيمنة على موارد تلك الدول بذرائع واهية [13][1].

وهكذا فمن الواضح أننا في عالمنا الحديث، لا يمكننا الإفادة من الفكرة التي سادت في القرن التاسع عشر، والتي أكدت على الفردية والتنافسية، إذ تعتبر هذه المفاهيم في الوقت الحاضر، مناقضة للأخلاق على الصعيد العالمي[14] [1]. آخذين بالاعتبار أنه لم يعد ممكنا من الناحية الأخلاقية إحداث تراكمات ض خمة في الفائض الإنتاجي، مع تردي في تقديم أية تضحية لمنفعة الأجزاء الأخرى من العالم، وبالمشابهة فإن المضامين الدالة على إمكانية حرب نووية ستجعل بشكل واضح – عاجلاً أم آجلاً – ومن الضروري عاجلاً، وجوب تضحية الدول المتقدمة صناعياً، بجزء من استقلالها السياسي لمصلحة تنظيم دولي[15] [7] ، علي من شأن المساواة والعدل، لا على أساس الهيمنة واستغلال ثروات الشعوب.

[12] - Kardiner, A, And Preble, E, 1963,They Studied Man, Mentor Book , N.Y. pp.33-55

[13] - Van Loon, Hen Drik, 1960, The Story of Mankind, Washington Squre Press Book , n.y. pp .163-175

[14]- Ibid . pp.163-175

[15] Martin Dale , Don, 1962,Social Life And Cultural Change , D Van Nostrand Co., Inc. N.Y. pp.397-399

الخاتمة:

مما تقدم يمكن استخلاص الآتي : أن الثورة البايولوجية تعتمد على فلسفة التربية في جانب كبير منها، كونها تعني بالجانب التعليمي، الذي ينصب بدوره على تعليم الحقائق والمهارات، أو تعليم أفكار نظرية مجردة مثل : الحرية والديمقراطية، مع الاهتمام الكلي بالبناء النفسي الجسمي، أي التأكيد على الجسم المتوسط، أو ما يسمى بالطفل الإنساني، وهناك طريقة لترجمة هذه المسؤولية، بتعريض الطفل للتجربة، حيث يخضع للتقييدات اللغوية المعتادة، وبكل تأكيد فمن الضروري بمكان، أن تعرف أكثر من ميكانيكية هذا التركيب النفسي الطبيعي الغريب، الذي جاءنا عن طريق الوراثة، وكذلك عن التركيب الطفولي لجسمنا، وفوق كل ذلك علينا أن نتعرف على عقلنا، وواقع الحال أن المجال قد أفسح لظهور طرق جديدة لاكتشاف العقل والدماغ، وللتعرف على كيفية عملها، وماذا يمكن أن يكون لها من القابليات – وهذا بلا شك يعتبر إنجاز أساسيا، لأن العقل الإنسان هو الجهاز الذي يستطيع أن يشكل المواد الأولية، التي تأتي عن طريق التجربة الحسية، ثم يصبها في طرق متعددة لا حصر لها، فيكون بعضها خيراً، وبعضها الآخر شريراً.

وبناء على ذلك، فالعقل الإنساني إذا هو مصدر الطاقة الخلاقة، بالنسبة للإنسان، لأن من منتجات: الأفكار والمفاهيم والاتجاهات، فالأعمال المدفوعة بالقابلية والطموحات الموجهة، تستطيع وبشكل واقعي أن تعيد تشكيل العالم من جديد، لأنها في حقيقتها عوامل حاسمة في الأداء التطوري التنفسي والاجتماعي، كما أنها ساعدنا على أن نتجاوز ما نشعر به من عجز وقصور[16].

والواقع أن اكتشاف هذا العالم الداخلي للعقل، هو أكثر أهمية من اكتشاف الفضاء الخارجي، ولا تقتصر أهميته على الأهداف الواسعة، المتمثلة في الشفاء، أو الوقاية من الأمراض العقلية، وإنما على إعادة الاعتبار للعقل، عبر التشجيع الكامل والثري للتطور العقلي.

من جانب آخر البحث في هذا المجال، لا يتعدى كونه أكثر من جزء ضروري من ذلك البحث، الذي يتناول الفيزياء الكيميائية، أو العلوم والفيزياء، أو الكيمياء والفلك مع المضامين التي تنطوي عليها. أما التربية فإنها لا تزال تتبوأ درجة دنيا في قائمة الأولويات، كما أن الحرف التعليمية لا تتمتع إلا بشريحة صغيرة، من التخصيصات المالية والاهتمامات الاجتماعية.

وهكذا فإن التأكيد على قبول الثورة الإنسانية، وما يتبع هذه النظرة من معرفة لمركز الإنسان ودوره في الكون، يجب أن تكون هدف متقدما على غيره، وكذلك إذا كان المصير الحقيقي للإنسان هو المساعدة، في توجيه مستقبل التطور على هذه الأرض بطرق محببة، فإن علينا أن نستقبل مؤخرا، نمو نوع جدي من الأخلاق، قائم على التفاعل الخلاق والمثمر، بين الإنسان والبيئة من حوله.

الاستنتاجات والتوصيات:

مما تقدم بوسعنا الإشارة إلى أبرز الاستنتاجات والتوصيات التي تم التوصل إليها في البحث وهي: أن الثورة البايولوجية، إنما تعتمد على التربية، كونها تولي للجانب التعليمي (تعليم الحقائق والمهارات والأفكار) اهتماماً كبيراً وضرورياً. أيضاً التركيز على: أهمية معرفة مكانة الإنسان، ومركزه ودوره في الكون الذي ينتمي إليه، وهو هدف متقدم على غيره من الأهداف الأخرى. من هنا تبرز إمكانية استفادة العديد من الجهات من هذه الدراسة: 1– المتخصصون

[16] -

في الدراسات الأنثروبولوجية، والاجتماعية، والفلسفية، والعلوم الإنسانية – الطلبة في أقسام و كليات : الدراسات الفلسفية والاجتماعية، التاريخ والآثار، العلوم الطبيعية والبايولوجيا. 3– الوزارات والمراكز والمؤسسات والجمعيات المعنية بالحفاظ على البيئة. 4– المناهج التربوية في المراحل الدراسية المختلفة

وهكذا فمجال الدراسات الأنثروبولوجية، ومجال الدراسات البايولوجية، ومجال الدراسات البيئية، ومجال الدراسات الفلسفية الاجتماعية، ومجال الدراسات التربوية، من أبرز مجالات الاستفادة من البحث.

المراجع:

1- Van Loon, Hen Drik, 1960, The Story of Mankind, Washington Squre Press Book , n.y.
2- Lenski, G. and Lenski , J , . 1978 ,Human Sociology , Megren - Hicc Book Co., N.
3- Swarts, M. and Jordan D. 1976, Anthropology: Perspective on Humanity, John Wille & Sons ,N.y.
4- Darwin, Ch. 1960, The Origin of Species, Mentor Book , N.Y.,.
5- Kroeber, A.L. 1952, The Nature of Culture, The University of Chicago Press,.
6- Kardiner, A, And Preble, E, 1963,They Studied Man, Mentor Book , N.Y.
7- Martin Dale , Don, 1962,Social Life And Cultural Change , D Van Nostrand Co., Inc. N.Y.,